(1)

الأمن الغذائي ... حمايته وحرمة التلاعب به

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، القائلِ في كتابهِ الكريمِ:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ القائلُ في كتابهِ الكريمِ: {أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ *وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}، وأشهدُ أنَّ سيدَنا ونبينَا محمدًا عبدُهُ ورسولُه ، اللهم صلِّ وسلمْ وباركْ على سيِّدِنا محمدٍ ، وعلى آلهِ وصحبهِ ومن تبعهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ.

أما بعد :

فَإِنَّ الدِّينَ الإسلامِيَّ الحَنِيف دينٌ شامل لكل نواحي الحياة بمَا تصلح به حَيَاة البشر ، ويتَوافَقُ مَعَ متطلباتهم المَعيشيَّة واحتيَاجَاتِهم الإنسانية، ويكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} .

فقد عُنِيَ الإسلام بالمُقَوِّمَاتِ الأسَاسِيَّةِ لحَيَاةِ الإنْسانِ ، من مَطْعَمٍ ، ومشْرَبٍ، ومسْكَنٍ، ومَلْبَسٍ ، وغير ذلك مما يساعد على استقرار حياته وسكينتها وطمأنينتها ، وتحقيق أمن الإنسان بكل صوره وجوانبه.

على أن نعمة الأمن من أعظم نعم الله (عز وجل) على الإنسان ،

لا يستطيع أن يعيشَ بدونها ، ولا يشعر بلذة العبادة والطاعة أو الطعام والشراب إلا بتحققها ، يقول سبحانه : {لِإِيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}.

ومن مجالات الأمن التي اهتم بها الإسلام وحرص على تحقيقها (الأمن الغذائي) بعيدًا عن الجشع والطمع ، والغش والاحتكار ، والاستغلال ، والنفعية والأنانية.

إنَّ للأمنِ الغِذَائي أهَميَّةً كُبْرَى في حَيَاةِ الأفْرادِ والأمَمِ ، فهو يَرتَبِطُ ارتبَاطًا وثيقًا بالاستِقْرَارِ والأمْنِ المُجْتمَعِيّ ، وقد رَبَطَ القُرآنُ الكريمُ بينهُمَا بِرِبَاطٍ وثيقٍ إلى يومِ القيامةِ ، فقال سبحانه مُمْتَنًّا على أهلِ مكَّةَ بهاتين النِّعْمَتَيْنِ:{أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}.

وكذلك جاءت السنة النبوية المطهرة بما يجعل الأمنَ الغِذائي ركيزة هامة من ركائز الحياة المستقرة ، وربطت كذلك بينه وبين الأمن المجتمعي ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سربِهِ ، مُعَافَىً في جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا) ، فالأمنَ الغذائي ضرورةٌ لحفظ كرامة الفرد والأمة،

وإن أيَّ مساسٍ به له عواقبُه وأضراره الخطيرة بما يجعل المساس به جريمة كبرى في حق المجتمعات ، لما يترتب على افتقاده من مفاسد وجرائم متعددة ، كالسرقة ، والسلب والنهب وقطع الطرق والغصب والرشوة والاحتيال والتربح والابتزاز وغير ذلك من مفاسد وشرور .

لذا حرصت الشريعة الإسلامية على حماية المجتمع من الجشع والاستغلال، وحرَّمت التلاعب بأقوات الناس وحاجاتهم الأساسية، وحثَّت على السعي في تحصيل المال الحلال ، باكتسابه من الطرق المباحة المشروعة، دون أي اعتداء أو ظلم للآخرين ، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}، كما حثت التاجر على الصدق والسهولة واليسر والسماحة وحسن المعاملة في بيعه وشرائه ، فلا يغالي في الربح ، حتى لا يرهق كاهل الفقراء والمحتاجين ، فيكون ذلك سببًا لمحق البركة من رزقه، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (دَخَلَ

رَجُلٌ الْجَنَّةَ بِسَمَاحَتِهِ، قَاضِيًا وَمُتَقَاضِيًا).

وفي المقابل حرَّم الإسلام كل صور المعاملات التي تفسد العلاقات بين الناس وتؤدي إلى الطبقية والأحقاد ، فحرم احتكار السلع التي يحتاجها الناس ، وحرم رفع أسعارها جشعًا واستغلالا ، وذلك لكي تتوفر السلع الغذائية التي تُؤَمِّنُ احتياجات الناس والتي لا غنى لأحد منهم عنها، ومن هنا كان استنكار النبي (صلى الله عليه وسلم) للسلوكيات الاستغلالية التي يمارسها من لم يراقب الله عز وجل من التجار ، إذ يقول : (مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ) ، فالخاطئ أشد جرما وشراسة من المخطئ ، فالله يقول {لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ}، ويؤكد ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) في رواية أخرى: (وقد بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ ورسولِه).

والاحْتِكَار والاستغلال يكونان سَبَبًا في هَلاكِ ودَمَارِ صاحبه في الدنيا والآخرة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغَلِّيَهُ عَلَيْهِمْ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

ولكي تتم حماية الأمن الغذائي حرّم الإسلام كل ما يؤدي إلى التلاعب به ، ومن ذلك الغش بجميع صوره في التعامل بين الناس ،

فقد أكد القرآن الكريم حرمة الغش في الكيل والميزان وتوعد على ذلك بالويل والخسران ، فقال سبحانه:{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ}.

ومن صُورِ الغِشِّ خَلْط الجيد بالرديء ، و إظهار الرديء في صورة الجيد وبيعه بقيمته ، فقد مرَّ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) عَلَى صُبْرَةٍ مِنْ طَعَامٍ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: (يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ، مَا هَذَا؟)، قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: (أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ)، ثُمَّ قَالَ: (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا). وبسبب حساسية العمل التجاري نجد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يقول: (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ). هكذا جاء الشرع الحنيف مادحًا لكل صلاح ، محاربًا لكل فساد ، موضحًا ما يحقق سلامة المجتمع من الأمراض التي تعوق مسيرة تقدمه ورقيه .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله وكفى ، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المصطفى ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى ، أما بعد :

فإن تحقيــق الأمن الغذائي وتوفيره لغـير القـادرين يتطلب منّـا جميعًا التعاون والتكافل ، وهو ما حثَّ عليه ديننا الحنيف في قوله سبحانه: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}، ويقول سبحانه : {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (ما مِن يومٍ يصبح العبادُ فيه إلا ملَكان ينزلان، فيقول أحدُهما: اللّهمّ أعطِ منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر: اللّهمّ أعطِ ممسكًا تلفًا) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) ، فلابد من التكافل والتراحم والتعاون ، وبخاصة في وقت الشدائد والأزمات .

نَسْأَلُ اللهَ العليَّ العظيمَ أنْ يرزقنا الرضا والقناعة ، وأن يكفينا بحلاله عن الحرام ، وأن يغنينا بفضله عمن سواه ، وأن يحقق لمصرنا الأمن والأمان ،،،،